الفصل الثاني
الدين وتشكيل رؤية الآخر والعالم

obeikandl.com

obeikandl.com

- **تتعدد رؤى العالم وتختلف باختلاف ثقافة الأشخاص والمجتمعات، فكل منا يرى العالم من زاويته الخاصة، هذه الرؤية قد تتشابه أحيانا في إطارها الجزئي أو الكلي مع الآخر الذي يعيش تحت نفس الظروف والملابسات، ويحظي بنفس القدر من المعرفة، ويمكن أن تختلف أحيانا أخرى سواء في الإطار الكلي للرؤية أو جزئياتها حسب المدخلات الثقافية والمعرفية.**

لكل مجتمع نسق معرفي يكون عبارة عن رؤية أفراد المجتمع للعالم وإدراكهم له، وفي هذا الشأن يقول عالم النفس جوردون ألبورت ([154]): إن البشر لابد أن يفكروا من خلال وضع فئات تصنيفية([155]) للمخلوقات وللبشر أيضا، بحيث تدور حول الذات والآخر، وبناء علي تشكيل هذه الفئات وتصنيفها تتم عملية الانحياز أو التعصب، وتتكون هذه الفئات التصنيفية من خلال مدخلين هما : التربية والخبرة، وأنه مالم يتفق أبناء المجتمع علي

154 نقلا عن : شاكر عبد الحميد، التفسير النفسي للتطرف والإرهاب ص 58

155 الفئات التصنيفية هي مجموعة الخصائص التي تميزهم عن غيرهم، ولابد أن تشتمل الفئات التصنيفية علي قدر كبير من المعلومات يحصل عليها عند الحاجة بجهد عقلي محدود، وأن تكون هذه التصنيفات متفقة مع الجوانب المادية والاجتماعية.

العيش المشترك، وعدم التدخل في حياة الآخرين أو التطفل عليهم، فإن الصراعات والتحيزات والعنف تبدأ ثم ما تلبث تتفاقم حتى يأتي العنف علي الأخضر واليابس.

وهذا يدفعنا للتساؤل عن دور الدين في تشكيل رؤية الإنسان للآخر وللعالم ؟ وإذا كانت الإجابة بالنفي فما هي العناصر الرئيسية التي تشكل رؤية الإنسان للآخر وللعالم ؟ وإذا كانت بالإيجاب فما هو دور الدين في تشكيل الرؤية الشخصية للكون ؟ وهل للعولمة بأدواتها الجبارة دخل في تشكيل تلك الرؤية وتطورها ؟ وما دور الدين في تشكيل تلك الرؤية في المجتمعات متعددة الأديان ؟ هل تتباين بين معتنقي الديانات المختلفة ؟ وماذا عن الملحدين ومعتنقي العقائد الوضعية ؟

منذ لحظة الميلاد والمرء يخضع لعملية التربية في البيت والمدرسة والمسجد أو الكنيسة ومع الأقران في الجامعة ويتعرض لوسائل الإعلام والتثقيف، فهو يمر بخبرات متعددة يخرج منها بتقييم الذات وتصنيف البشر في جماعات حسب ألوانهم وأجناسهم وديانـاتهم، وأنواعهم، وهكذا نبني تصوراتنا، فتكون صائبة أحيانا وخاطئة أحيانا أخري.

وأول الخطوات لإدراك شخص ما أننا نصنفه علي نحو يتفق مع فئة معرفية محددة لدينا سلفا ممن هم علي هيئته، ومن خلال بعض الخواص والمظاهر المميزة له، من ملبسه كأستاذ جامعي، أو ضابط شرطة أو من هيئته شخص ملتح ذو لحية قصيرة أو طويلة مثلا، ثم نبدأ التعامل معه إلى أن تتدعم تلك المعرفة التصنيفية أو لا تتدعم حسب الخبرة([156]).

ويعتبر مالك بن نبي أن لحظة ميلاد الدورة الحضارية تبدأ بدخول الفكرة الدينية لمحيط المجتمع، ومعنى ذلك أن الدين هو الباعث للحضارة، بينما يرى " شبنلجر " أن لحظة ميلاد الحضارة يبدأ في اللحظة التي تستيقظ فيها روح كبيرة، حيث تكون الروح ذاخرة بالإمكانيات، ويتضح تأثير الدين عند بن نبي من التفاعل القوي بين عناصر حضارة الإنسان المتمثلة في الإنسان والتراب والوقت، ويشترط أن يكون المجتمع متماسكا، وكلما كانت الطاقة الدينية قوية كلما كان الإقلاع الحضاري أكثر اندفاعا.([157])

إذن، الدين هو المحرك للروح، وعندما تنهار الحضارة تفقد الروح سيطرتها على العقل، وتعلو سيطرة الغريزة على ما سواها.

---

[156] ينظر : شاكر عبد الحميد، التفسير النفسي للتطرف والإرهاب ص 61

[157] ينظر : مالك بن نبي، تأملات ص 225

ومن الثابت لدي علماء النفس والاجتماع أن هناك فروقا واضحة بين الشخصية والرؤية الشخصية، فالشخصية بمعناها العلمي– وفق إحدي تعريفاتها– تعني الميول الذاتية للشخص التي تحدد سلوكه وتميزه عن غيره من الأشخاص، وهي لا تقتصر على السمات المنظورة في الشخص، بل تتعداها إلى مجموعة السمات الكامنة في السلوك أيضا([158]).

وفي تعريف آخر الشخصية هي" الصورة المنظمة المتكاملة لسلوك الفرد التي تميزه عن غيره، أي أنها عاداته وأفكاره واهتماته وأسلوبه في الحياة "([159]).

وعندما ننتقل إلى البحث في الاتجاهات والميول المتطابقة بين أفراد المجتمع الواحد لتعميم تلك الاتجاهات والميول التي تتجلى في السلوك الجماعة سنواجه بتعريف الشخصية الذي يرى أن لكل فرد خصائص تميزه عن غيره وتعبر عن كينونته الفردية، فكيف ينسجم هذا مع المحيط الأوسع للثقافة التي تنتظم حياة الأفراد في وحدة تعاونية متبادلة ؟

[158] - ينظر : قيس النوري، الشخصية العربية ومقارباتها الثقافية ص 1

[159] - أحمد عكاشة، ثقوب في الضمير ص 41

وعلى النقيض من الرؤية الثقافية والاجتماعية ظهر اتجاه متشدد يعطي للوجه الوراثي البيولوجي دورا أكبر في تشكيل السمات الفردية، لكنه ما لبث أن اعترف أصحاب هذا الاتجاه بضعف تأثير هذا العامل، وهو ما أدى إلي إحداث التوازن بين التأثيرات الثقافية والاجتماعية المكتسبة وتأثيرات العامل البيولوجي، والدليل على ذلك أن الناس في الثقافة الواحدة يتكلمون لهجة متماثلة في نظامها الصوتي والنحوي، وهو ما يمكن رده بكل سهولة إلى وحدة مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تولد ما يسمى بالتماثل التعبيري، وهنا نلحظ أنه لايوجد تأثير بالمرة – في هذه الحالة– للعوامل البيولوجية([160]).

إذن، فمؤسسات التنشئة الاجتماعية تلعب دورا محوريا في بناء الرؤية الشخصية للعالم وهي في الوقت ذاته تعمل على تشكيل رؤية التجمعات القرابية والاجتماعية الأكثر التصاقا والتحاما برؤية المجتمع الضيق والواسع للكون.

وأما رؤى الأشخاص للعالم فتنقسم عند " حسن حنفي " إلى أربع رؤى متمايزة حسب الدين والفلسفة والفن والرياضيات، وهناك رؤى أخرى مثل الرؤية العضلية التي تعتمد في نظرتها للكون

[160] -ينظر: قيس النوري، الشخصية العربية 75-76

على القوة، وهناك أيضا الرؤية الأخلاقية التي تقع إما ضمن الرؤية الفلسفية أو الرؤية الدينية، أو الرؤية العلمية ولكل رؤية من هذه الرؤى رمز يتجلى في صورة أو قول، فالرؤية الدينية رمزها الهلال أو الصليب، والرؤية الفلسفية رمزها الرأس باعتباره مناط التفكير، والرؤية العلمية رمزها الدائرة أو التلسكوب([161]).

وتعرف رؤية العالم في أحد وجوهها بأنها الطريقة التي يرى بها الشخص في مجتمع ما نفسه في علاقته بكل الأشياء خارج ذاته حيث تتمايز عنه وترتبط في الوقت نفسه بذاته، وموقف الإنسان منها، وتعرف رؤية العالم من وجهة أخرى بأنها " نسق الفكر أو نسق المعتقدات أو حتى نسق الرموز التي تكمن وراء العلاقات والنظم والأنساق، وتساعد على قيامها حتى إن كان أعضاء المجتمع لايدركون وجودها "([162])، ويرى مالينوفسكي أن " كل ثقافة من الثقافات الإنسانية تزود أعضاءها برؤية محددة للعالم، وبمذاق خاص ومحدد للحياة "([163]).

وفي رأيي أنه سيكون من قبيل التسطيح الفكري أن نقول أن كل ثقافة من الثقافات تزود أعضاءها برؤية محددة للعالم، لأن

---

[161] - ينظر : حسن حنفي، رؤى العالم – عالم الفكر مج 40 – 212/3 ص 7

[162] علي ليلة، العالم الثالث " مشكلات وقضايا " ص 312

[163] أحمد زايد، الذات وما عداها " مدخل لدراسة رؤى العالم ص 50

الثقافات تحمل في داخلها تنوعا يصل في بعض الأحيان إلى درجة التنافر والتناقض الحاد، ومثال ذلك تباين رؤي الجماعات الراديكالية والمحافظة في الدول العربية، فكيف تزود الثقافة المصرية أو العراقية أو اللبنانية– مثلا– أعضاءها برؤية محددة للعالم وبمذاق خاص للحياة ؟

يتبين لنا مما سبق إلى أن هناك مجموعة من العناصر الرئيسية التي تشكل بنية رؤيتنا للعالم، حيث تشكل مجموعة من الافتراضات العنصر الأول والنواة الأولى لعالم الفرد من دوائر عديدة تبدأ بدائرة الفرد الآخر المغاير، وتمتد لدائرة الجماعة ثم إلى دائرة المجتمع وصولا للدائرة الأوسع للدولة والإقليم والعالم، وتقوم جميعها على بنية افتراضية مسلمة يستوعبها الفرد أثناء تنشئته الاجتماعية، ويضم العنصر الثاني المتغيرات الجوهرية التي تحدث للمجتمع من حيث مستويات تحديثه أو جموده، فالمجتمعات الجامدة تملك رؤية أولية متماسكة للعالم بخلاف المجتمع الحديث الذي يضم عدة رؤى. أما العنصر الثالث وهو الأهم فيقوم على تحديد المرجعية التي تشكل رؤية العالم لدي الفرد والجماعة والمجتمع وهي أنساق المعتقدات والأفكار والرموز والمعاني التي تبدأ من القوة الأعظم وهي قوى ما وراء

الطبيعة، وثانيها القوى المؤثرة في الطبيعة وآخرها القوى المؤثرة في المجتمع، أو ما اصطلح على تسميته بالعقل الجمعي هذا بالإضافة إلى التراث التايخي للمجتمع، والسياق المادي والجغرفي للمجتمع.

وإذا تدبرنا العناصر الفاعلة في تشكيل رؤية الإنسان للعالم، سنجد أن الدين حسب " أميل دوركايم " يسيطر على المساحة الأكبر من هذه الرؤية، فالدين حاضر في رؤية المجتمعات البدائية وغير البدائية ويشكل الوعي الفردي لمكوناته، ويقوم العقل الجمعي للمجتمع بصناعة منظاره الذي يضعه الفرد على عقله ليرى من خلاله العالم المحيط([164]).

فالحديث عن دور الدين في تشكيل رؤية المجتمع لذاته وللكون من حوله تنتقل من خلال موصلات مباشرة وغير مباشرة تستقر في وعي أفراد المجتمع، وتتحول إلى عقيدة سواء كانت تلك الرؤية صحيحة أو فاسدة.

ويجرنا الحديث عن الشخصية ورؤيتها للعالم في دوائره المتقاطعة إلى التماس مع أبعاد الشخصية والخصائص العامة للشخصية المصرية للتعرف على العوامل الأكثر تأثيرا.

---

[164] ينظر : زكي الميلاد، المسألة الحضارية ص 57

يرى بعض الباحثين أن هناك ثلاثة أبعاد للشخصية بصورة عامة هي([165]) :

1-الصورة الذاتية التي يعتقدها المرء في نفسه.

2-الصورة الاجتماعية التي تتشكل في وجدان المجتمع لتلك الشخصية.

3-الصورة المثالية التي ينشدها المرء ويعمل من أجل الوصول إليها.

وتتميز الشخصية المصرية- في رأي " أحمد عكاشة "- بعدد من الخصائص أهمها من وجهة نظر البحث : الانتماء والتماسك مع الدين والأسرة أكثر من الوطن فضلا عن البساطة والدفء العاطفي وحب الاختلاط وغيرها([166]).

هذه السمة على وجه الخصوص تعد نقطة ضعف يتمكن منها أدعياء الدين وتجار بضائع الفكر الفاسدة؛ لكون هذه السمة تجعل الانتماء للوطن يشغل المرتبة الثالثة بعد الدين والأسرة.

---

165 ينظر : أحمد عكاشة ، ثقوب في الضمير ص 42

166 لمزيد من التفصيل ينظر: المرجع السابق ص 43

ويرى معظم([167]) علماء الاجتماع والأنثربولوجيا وعلم النفس الاجتماعي أن هناك ارتباطا وثيقا بين الشخصية ومؤسسات المجتمع الذي ينشأ فيه الفرد بما يعني قبول التفسير الاجتماعي والثقافي الذي يربط بين الشخصية ومؤسسات التنشئة المجتمعية أي التي يتعرض لها النشء منذ نعومة أظافره فتعمل على تشكيل مواقفه النفسية والاجتماعية، وهي لا تتوقف وفق أرجح الآراء عند مرحلة سنية معينة ، ولكنها تؤسس بنيانها على مرحلة الطفولة والشباب بشكل أساسي.

ويعترف أصحاب الرؤية الأنثربولوجية بمرونة ومطاطية الشخصية بسبب تنوع أنساق التنشئة وتباين ما يصاحبها من وسائل ضبط ورعاية بما يعني وجود ارتباط بين نمط الثقافة السائدة ونمط الشخصية، هذه المرونة خاضعة لتدخل عوامل التطور الأخرى في المجتمع.

ويذهب أحد الباحثين المعاصرين([168]) إلى أن المشكلة التي تواجه محاولات ربط الشخصية بالمؤسسات هي : أن بهذه

---

[167] هذا الرأي يناقضه فريق ذو توجه بيولوجي ، يذهب إلى أن الشخصية تكون محصلة للقوى الوراثية العضوية التي لا تعترف بعوامل المجتمع الخارجية بما في ذلك مؤسسات الضبط والتنشئة، لمزيد من التفصيل ينظر: قيس النوري، الشخصية العربية ص 76-77

[168] ينظر: المرجع السابق ص 77

المؤسسات رواسب باقية ورثتها المؤسسات من المجتمعات القديمة على فترات زمنية طويلة وغير معلومة مما يجعل من المستحيل توثيق علاقة تلك الرواسب بالشخصية بصورة تطبيقية وعملية.

ومع اعترافنا بأن حركة التغيير التي تطال الشخصية لا يمكن تجنبها فإنه من جهة أخرى يطلع الأفراد بدور ما في تغيير ثقافة المجتمع حسب قدراتهم على التجديد والابتكار جنبا إلى جنب مع مؤهلاتهم وخبراتهم، والتأثير المتبادل هنا بين الشخصية والمؤسسية تأثير بالتناوب فيكون فاعلا حينا ومفعولا حينا آخر.

ومن المؤكد أن أدوات العولمة الحديثة من وسائل الإعلام الجبارة قد أثرت إلى حد بعيد في تشكيل رؤية الأجيال الجديدة للآخر أيا كان وللكون من حولهم، لقد ذابت حدود وانهارت أسوار نتيجة تأثير هذه الأدوات والعوامل على بنية الصورة الذهنية للأفراد والجماعات وما يحدث لها من تحولاتها بسرعة مذهلة وغير طبيعية.

obeikandl.com

" سيكون القرن الحادي والعشرون مسرحا للحروب الدينية الحادة، وسيكون الرهان على: الانتحار الكوكبي أو قيامة الإنسانية [روجيه جارودي – الإرهاب الغربي 15/2].

الفصل الثالث
الدين والتدين تشابه والتباس

obeikandl.com